

آية السؤال من وراء حجاب هي أولى آيات الحجاب، ابتداءً ببيت النبي
كما في روايات ولكن:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِيءِءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَتْ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٥٥):

أترى لماذا هنا يستثنى عن عموم فرض الحجاب - فقط - هؤلاء
المذكورون، ويترك الأعمام والأخوال كأنهم ليسوا من المحارم؟ ليس هنا
فرض الحجاب الأصل، والأعمام والأخوال أبعد من سائر المحارم فليظلوا
هناك في عموم الحظر.

أم لعل آية النور متأخرة النزول عن آية الأحزاب كما تقتضيه طبيعة
التكليف، فهي تعم الاستثناء بعد اختصاصه.

ثم ﴿نِسَائِهِنَّ﴾ هنا و﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ هن كما في النور، نساء
مؤمنات، وإماء مؤمنات.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ (٥٦):

آية منقطعة النظير، تحمل للبشير النذير هدية الصلوات الثلاث
برحمات، من الله إنزالاً، ومن الملائكة والذين آمنوا استنزالاً، ثم ﴿وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا﴾ له مطلقاً دون شرط، كما الصلاة عليه مطلقة دون شرط! وأين
تذهب صلاتنا والملائكة بعد صلاة الله؟ وإنما يريد الله تشریفنا قرناً لصلاتنا
إلى صلاته، لتكون صلات بيننا وبينه ﷺ كما بينه وبين ربه فيرحمنا بهذه
الصلاة الصلوات!.

ومثلت الصلاة هذه عليه في الملائكة الأعلى والأدنى تعني أن مقامه أرفع
المقامات بين ملائكة العالمين من الملائكة والجنة والناس أجمعين.

أَجَلٌ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
 وأين صلاة من صلاة، حيث هذه تخرجنا من الظلمات إلى النور ولكنما
 النبي هو نورٌ في حالات وهالات من النور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ
 وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾^(١) فالنبي هو النور ومعه الكتاب النور، ولأن الكتاب
 متجسّد في روحه حيث كان خلقه القرآن فهو إذاً نور على نور!

فلا تعني صلوات الله عليه إلا دوام تسديده بعصمة فائقة، وإتمام نوره
 معرفة وعملاً وعلماً وكما أمره ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٢) ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
 بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٣) ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ
 عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾^(٤)

رحمات الله ليست لها نهايات، فلتواصل على أفضل البريات وغاية
 الغايات، وقد تكفيه صلوات الله سلباً لما يتربصه من دوائر السوء، وإيجاباً
 لما يليقه من مقامات الخير، فما هي حاجته إلى صلوات ملائكة الله
 وصلواتنا، إلا حاجاتهم وحاجتنا، لهم ترفيحاً لمقاماتهم، ولنا غفراناً
 لذنوبنا واستجابة لدعواتنا بشفاعة النبي المختار، ف«بالصلاة تنالون
 الرحمة»^(٥) مهما زادته ﷺ رحمة على رحمة - ولكنها لنا عون ونجاح
 الطلبة: ف«صل على محمد وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبداً ولا
 منتهى لأمدها واجعل ذلك عوناً لي وسبباً لنجاح طلبتي إنك واسع كريم»^(٦)

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥ .

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤ .

(٣) سورة الصف، الآية: ٨ .

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢ .

(٥) نور الثقلين ٤: ٣٠٢ ح ٢٢٤ في كتاب التوحيد من خطب علي ﷺ وفيها: بالشهادتين
 تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثرها من الصلاة على نبيكم وآله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
 يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

(٦) في الصحيفة السجادية في دعائه ﷺ في طلب الحوائج

ف«قد كان في الله وملائكته كفاية ولكن خص المؤمنين بذلك ليثيبهم عليه»^(١).

ومهما رُدت دعوات منا حيث لا نأهل إجابة، لقصوراتنا وتقصيراتنا، فليست لثُرد صلواتنا على النبي ﷺ إذ يأهل، كما الله يصلي عليه ابتداءً دون دعاءٍ، وهل يقبل الله دعاءنا فيه ثم يرد دعاءنا فينا؟ كلا، يا كريم! ولكن شرط ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وكما سلّم لربه تسليماً، فاستحق تلك المنزلة الرفيعة.

فمن آداب الدعاء وشرائط استجابة الدعاء أن تتوسط الصلاة على النبي وآله وكما نراه في صحيفة الإمام السجاد عليه السلام: وعن الإمام علي عليه السلام «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء حجاب إلى أن يدعو لمحمد وآل محمد»^(٢).

عرفنا الصلاة عليه، فهل التسليم كما الصلاة أيضاً عليه، أن نقول: السلام عليك؟ أم التسليم له، استسلاماً لأمره ومطابقة لإمرته؟ لا فقط في لفظة القول؟^(٣).

علّه يعنيهما ولاسيما التسليم له وهو الأهم الأتم، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لا تحمل لا «له» ولا «عليه» فلتحمل التسليمين معاً، والتسليم له هو الشرط الأصيل للإيمان، وشرط إجابة الدعاء، فلو عني التسليم عليه فقط كما الصلاة لقال ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾!

ومن التسليم له أن نصلي عليه كما أمر: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد...» لا الصلاة البتراء كما نهى: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء: اللهم

(١) الدر المنثور أخرج الأصبهاني في الترغيب والديلمي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها وموطنها أكثركم علي في دار الدنيا صلاة أنه قد كان...

(٢) الديلمي في كتاب الفردوس رواه بسنده عنه عليه السلام ورواه مثله السمعي في مناقب الصحابة بسنده عن الحارث وعاصم بن حمزة عليه السلام.

(٣) نور الثقلين ٤: ٣٠٥ ح ٢٣٥ في محاسن البرقي عن محمد بن سنان عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية: اثنوا عليه وسلموا له.

صلّى على محمد! ولقد تواترت الرواية عنه (صلى الله على محمد وآل محمد) ما لا تحصى بزيادة الآل، والأكثرية الساحقة من المسلمين تعودوا أن يصلوا عليه الصلاة البتراء، أم إذا زادوا الآل ردفوا بهم أزواج النبي وأصحابه، فهم بين نقيصة بترء وزيادة بترء والله منهما والرسول براء!

لقد أخرج الحفاظ والمصنفون والمحدثون والمفسرون ما يصعب إحصاؤه^(١) عن عدد من الصحابة كالإمام علي عليه السلام^(٢) وابن عباس^(٣) وأبي

(١) وممن أورده محمد بن إدريس الشافعي في مسنده والبخاري في صحيحه باب كيف نصلي عليه وكذا في تاريخه الكبير ج ١٢ القسم الأول ص ٣٥١ والحاكم في مستدركه ٣: ١٤٨ وفي معرفة علوم الحديث ص ٣٢ وأبو نعيم الأصفهاني في أخبار أصفهان ١: ١٣١ ويوسف بن عبد البر الأندلسي في تجريد التمهيد ص ١٨٥ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦: ٢١٦ والواحدي النيسابوري في أسباب النزول ص ٢٧١ والبغوي في معالم التنزيل والثعلبي في تفسيره والحموي في فرائده وأبو نعيم في الحلية والديلمي في الفردوس والسمعاني في مناقب الصحابة وابن العربي الأندلسي في أحكام القرآن ١: ١٨٤ والرازي في تفسيره الكبير ٢٥: ٢٢٦ والذهبي في تلخيص المستدرک والقريطي في تفسيره ١٤: ٢٣٣ - ٢٣٤ ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبي ص ١٩ ومحيي الدين يحيى بن شرف النووي في رياض الصالحين ص ٤٥٥ والطبري في تفسيره ٢٢: ٢٧ وابن كثير في تفسيره وأبو حيان الأندلسي في البحر المحیط ٧: ٢٤٨ والدشتكي الشيرازي الهروي في روضة الأجاب في باب الصلاة على النبي ﷺ ومحمد بن إدريس الهندي الكاندهلوي الحنفي في التعليق الصحيح في شرح المصابيح ١: ٤٠١ والمحدث السيد إبراهيم نقيب مصر في البيان والتعريف ٣: ١٣٤ والخازن في تفسيره ٥: ٣٢٦ وجلال الدين السيوطي الشافعي في بغية الدعاة ص ٤٤٢ وفي الدر المنثور حيث نقلنا الإخراجات عدد المروي عنه عن النبي ﷺ والهيثمي في الصواعق المحرقة ص ١٤٤ والمولى محمد بن پير علي افندي البركوثي في الأربعين حديثاً ص ٢٦٤ والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في مناقب مرتضوي ص ٤٥ والشوكاني في فتح القدير ٤: ٢٩٣ والألوسي في روح المعاني ٢٢: ٧٣ وأبو بكر العلوي الحضرمي في رشفة الصادي ص ٣٤ و٢٩ والجاوي في القول الفصل ٣: ٣٧٢ (ملحقات إحقاق الحق ٣: ٢٥٢ - ٢٧١).

(٢) أخرجه عنه ابن أبي شيبه وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن مردويه .

(٣) أخرجه عنه ابن جرير عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال: إن الله وملائكته الآية قال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقالوا: يا رسول الله قد علمنا الصلاة السلام عليك فكيف الصلاة؟ فقال قولوا: . . .

سعيد الخدري^(١) وأبي طالب^(٢) وابن أبي مسعود^(٣) وأنس بن مالك^(٤)
 وكعب بن عجرة^(٥) وطلحة^(٦) وعبد الله بن طلحة^(٧) وإبراهيم^(٨) وأبي
 هريرة^(٩) وبشير بن سعد^(١٠) وأبي مسعود الأنصاري^(١١) وأبي حمية
 الساعدي^(١٢) وأم سلمة^(١٣) وأئمة أهل البيت عليهم السلام كافة عن النبي صلى الله عليه وسلم

- (١) أخرجه عنه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه .
 (٢) أخرجه عنه ابن مردويه .
 (٣) أخرجه عنه - فيمن أخرجه - ابن جرير .
 (٤) ممن أخرجه عنه ابن جرير وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن
 كعب بن عجرة قال لما نزلت ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ . . . ﴾ [الأحزاب: ٥٦] قلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل
 محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك» وأخرج مثله عنه عبد
 الرزاق وابن شيبه وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .
 (٥) أخرجه عنه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي عاصم والهيثم بن كليب الشاشي
 وابن مردويه وابن جرير .
 (٦) أخرجه عنه أبو داود وابن مردويه والبيهقي في سننه وعبد بن حميد والنسائي والبخاري في
 الأدب المفرد .
 (٧) أخرجه عنه ابن سعد وأحمد والنسائي وابن مردويه .
 (٨) أخرجه عنه ابن جرير .
 (٩) أخرجه عنه فيمن أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن كثير عنه ومثله مالك وعبد الرزاق وابن
 أبي شيبه وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم
 وصححه والبيهقي في سننه .
 (١٠) أخرجه عنه أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه .
 (١١) أخرجه عنه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه
 وابن مردويه .
 (١٢) أخرجه عنه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه
 وابن مردويه .
 (١٣) محمد بن إدريس الشافعي في مسنده أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن أبي
 سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك؟ فقال:
 تقولون . . .

قوله: «تقولون: اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ثم تسلمون علي» وقد تختلف فيها صيغة النقل مع الحفاظ على الأصل: إن الصلاة على آل محمد لزّام الصلاة عليه ﷺ.

وقد يلّمح وصف الخطاب ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إن الصلاة عليه والتسليم له من لوازم الإيمان، أجل وكما الصلاة لله مهما اختلفت صلاة عن صلاة اختلاف الأحد عن أحمد!.

إن التسليم له ﷺ مما يجب أن يعيشه المؤمن في حياته الإيمانية، ثم الصلاة عليه وآله من واجبات التشهد، والتسليم عليه من سنن السلام المندوبة، فلولا الصلاة عليه فلا صلاة، مهما كان التسليم عليه ندباً دون فرض.

وهل تجب الصلاة عليه دائماً دونما انقطاع؟ وهو حرج قاض على كافة الواجبات اللفظية حتى الصلاة! وكيف تربو الصلاة عليه الصلاة لله! فلتكن لأكثر تقدير مع كل صلاة! أم وكلما ذكر كما في متظافر الروايات^(١) وكلما

(١) المصدر أخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله أرأيت قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟ قال: إن هذا لمن المكتوم ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم إن الله وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلّي علي إلا قال ذاك الملكان: غفر الله لك وقال الله وملائكته جواباً لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلّي علي إلا قال ذلك الملكان: لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذينك الملكين آمين «أقول: آمين من إخبار عن الاستجابة لا دعائها وفيه أخرج أحمد والترمذي عن الحسين بن علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ علي وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة أقول: يعني به التناسي والتساهل. وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ آتاني جبرائيل فقال: رغم أنف أمري ذكرت عنده فلم يصلّ عليك وأخرج القاضي إسماعيل عن الحسن عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ كفى به شحاً أن يذكرني قوم فلا يصلون علي.

تدعو استجابة لدعائك^(١) وكلما تذكر ربك^(٢) فلتعش ذكر الله ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٣) وتعيش على ضوئه الصلاة على رسول الله^(٤) وكما ندرس ذلك القرن الدائب من الشهادتين!

إنما الواجب من الصلاة عليه ما في تشهد الصلاة، ويليه على أشرف الواجب كلما ذكر، ثم وسائر الصلاة عليه سنة، فصلوات الله عليه وعلى آله ما طلعت الشمس وغربت^(٥) وواجب التسليم له ﷺ يشمل كل حياة التكليف

- = وفي نور الثقلين ٤ : ٣٠٢ ح ٢٢٠ وفي من لا يحضره الفقيه روى زرارة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : وصل على النبي ﷺ كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان أو غيره .
- (١) المصدر أخرج عبد الرزاق عن ابن عيينة قال أخبرني يعقوب بن زيد التيمي قال قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من ربي فقال : لا يصلي عليك عبد إلا صلى الله عليه عشراً فقال رجل : يا رسول الله ﷺ ! ألا أجعل نصف دعائي لك؟ قال : إن شئت قال : ألا أجعل كل دعائي لك؟ قال ﷺ : إذن يكفيك الله هم الدنيا والآخرة .
- (٢) المصدر أخرج الترمذي وحسنه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وفيه أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي إلا قاموا عن أنتن جيفة .
- (٣) سورة الأحزاب، الآية : ٤١ .
- (٤) المصدر أخرج الترمذي وحسنه وابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة .
- (٥) نور الثقلين ٤ : ٣٠١ في عيون الاخبار باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون عن محض الإسلام وشرائع الدين : «والصلاة على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبائح وغير ذلك وفي الخصال عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : هذه شرائع الدين - إلى أن قال : - والصلاة على النبي واجبة في كل الموطن وعند العطاس والرياح وغير ذلك أقول عليه يعني من واجبة ثابتة مهما اختلفت الثبوتات فرضاً وندباً ، وفي ثواب الأعمال عن أبي المعز قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل أن يشني رجله أو يكلم أحداً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] اللهم صل على محمد وذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين في الدنيا وثلاثين في الآخرة قال قلت : ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمن؟ قال : صلاة الله رحمة من الله وصلاة الملائكة تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له .

في حياته ﷺ وبعد مماته ﷺ وكذلك سنة التسليم عليه فإنه المجيب ميتاً كما يجيب حياً^(١) ثم الصلاة عليه في صلاة وسواها فإنه يسمع سلامنا وصلاتنا دون أن تهتد بلا جواب وصواب أو ثواب!^(٢) .

ولأن الصلاة عليه أحسن هدية إليه وهو أحق من يُهدى إليه فقولوا:
«اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٣) وكما قال ﷺ: اللهم صلّ على محمد وأبلغه درجة الوسيلة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته، وفي المقربين مودته، وفي عليّين ذكره وداره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد»^(٤) .

(١) المصدر أخرج البيهقي في الشعب والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: من صلى علي عند قبوري سمعته ومن صلى علي نائياً كفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله ﷺ: أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنها معروضة علي .

(٢) المصدر أخرج البيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر وابن المنذر في تاريخه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم علي صلاة في الدنيا من صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبوري كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه إلى عشرة فأثبته عندي في صحيفة بيضاء .

(٣) الدر المنثور ٥: ٢١٩ - أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود قال: إذا صليت على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا: فعلمنا قال: قولوا . . .

(٤) المصدر أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله ﷺ: قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: . . .

وأخصر صلاةٍ عليه «اللهم صل على محمد وآله» يكتفى بها حال الدعاء كما في الصحيفة السجادية، ثم «وآل محمد» كلما ذكر، ثم أحسنوا الصلاة عليه حسب المستطاع في سائر الحالات والمجالات وكما في صلاة الجمعة والميت.

ومن اللمحات اللامعة في هذه الآية فرض الصلاة على النبي ﷺ لما مات، وكما صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي^(١) فصلوات الله عليه حياً وصلوات الله عليه حين مات وصلوات الله عليه مدى الدهر، كما ومن التسليم له التسليم لمن وصاه بأمر الله^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ :

إيذاء الله ورسوله لا تحمله إلا هذه الآية، وقرن الرسول في إيذائه بالله مما يؤذون إن في إيذاء الرسول إيذاء الله، فإنه يحمل رسالة الله، فإيذاؤه كرسول إيذاء للمرسل، وأين إيذاء من إيذاء؟

(١) نور الثقلين ٤: ٣٠٣ ح ٢٢٨ في أصول الكافي عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر ﷺ قال قلت له: كيف كانت الصلاة على النبي ﷺ؟ قال: لما غسله أمير المؤمنين ﷺ وكفنه وسجاه ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ثم وقف أمير المؤمنين ﷺ في وسطهم وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ [الأحزاب: ٥٦] فيقول القوم كما يقول حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي وفيه عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال: لما قبض النبي ﷺ صلت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً قال وقال أمير المؤمنين ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول في صحته وسلامته: إنما نزلت هذه الآية علي بعد قبض الله لي ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ أقول: يعني أنها تعني فيما تعني الصلاة علي بعد موتي.

(٢) المصدر ٣٠٥: ٢٣٤ في كتاب الاحتجاج عن أمير المؤمنين ﷺ فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله ﷺ من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ...﴾ ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليماً وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسنه وصفي ذهنه وضح تمييزه.

الذين يؤذون رسول الله ينالون منه ويظلمونه، انتقاصاً من ساحته وتكديراً لقلبه، وتكويراً لنوره، فهو يتغير بما يغيرون ويتأثر بما يتقولون ويفتعلون: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

ف ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (٢).

أترى الوقعة في أهل بيت الرسول (عليهم أفضل الصلوات) وشكيمتهم لا تؤذيه؟

أو أن سن السباب على أخيه وخليفته علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يؤذيه؟

أم إن تحريض المؤمنين في حرب الجمل من صاحبة الجمل لا يؤذيه؟

سلوا خال المؤمنين وأمهم آمن هم من هؤلاء الذين نكلوا بأفلاذ كبده وركلوهم، هل إن هذه تفرحه أم تؤذيه ف ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾!

ثم الله ليس ليتأذى كخلقه سواء، إذ لا يتغير بانغيار المخلوقين، فإيذاؤه أمّاذا من هذه المتشابهات يجرد عما للخلق من تأثر وتغير، ويستخلص كما يناسب ساحة الربوبية في تحرير خلوه عن أي تعبير، فكما أن غضب الله عذابه، كذلك إيذاؤه من موجبات عذابه.

وما أشنعه وأبشعه وهم يحاولون أذى ربهم وما هم بباليغيه ولو بشق

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.